هذا كتاب المنقذ من الضلال تأليف الامام العلامة
حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد
الغزالي قدس الله سره وجعل
الفردوس مقره

آمين

﴿ طبع في المطبعة الاعلامية ﴾
﴿ بمصر القاهرة ﴾
سنة ١٣٠٣

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى يفتتح بحمده كل رسالة ومقالة والصلاة على محمد المصطفى صاحب النبوة والرساله وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلاله (أما بعد) فقد سألتنى أيها الاخ فى الدين أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها * وغائلة المذاهب وأغوارها * وأحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق * مع تباين المسالك والطرق * وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار وما استفدته أولا من علم الكلام * وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام * وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف * وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف * وما انجلى لى فى تضاعيف [illegible]

الخلق من لباب الحق وما صرفنى عن نشر العلم ببغداد مع كثـ
وما دعانى الى معاودتى بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت
الى مطالبك * بعد الوقوف على صدق رغبتك * وقلت مستـ
ومتوكلا عليه * ومستوفقا منه وملتجئا اليه * اعلموا أحسن ا
ارشادكم * وألان للحق قيادكم * أن اختلاف الخلق فى الاد
ثم اختلاف الامة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين ال
عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون وك
يزعم أنه الناجى و (كل حزب بما لديهم فرحون) وهو الذى
سيد المرسلين صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق
(ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة)
ما وعد أن يكون ولم أزل فى عنفوان شبابى منذ راهقت الب
بلوغ العشرين الى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم
البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض
الحذور وأتوغل فى كل مظلمة * وأتهجم على كل مشكلة * و
ورطة * وأتفحص عن عقيدة كل فرقة * وأستكشف أسرار
كل طائفة لاميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا أغادر
وأحب أن أطلع على بطانته * ولا ظاهريا الا وأريد أن أعـ
ظهارته * ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته * و
الا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته * ولا
وأحرص على العثور على سر صفوته * ولا متعبدا الا وأترصد
اليه حاصل عبادته * ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس و

لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته * وقد كان التعطش الى درك
حقائق الامور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة
من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي * حتى انحلت عني
رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد
سن الصبا اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشو الا على
التنصر وصبيان اليهود لا نشو لهم الا على التهود وصبيان المسلمين
لا نشو لهم الا على الاسلام وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث قال (كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه) فتحرك باطني الى طلب حقيقة
الفطرة الاصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين
والاستاذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز
الحق منها عن الباطل اختلافات فقلت في نفسي أولا انما مطلوبي العلم
بحقائق الامور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي أن العلم
اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب
ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان
من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار
بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا
وانكارا فاني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل
لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت
ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من
كيفية قدرته عليه فأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل ما لا

أعلمه

أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو
لا ثقة به ولا أمان معه وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني

﴿ القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم ﴾

ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه
الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول
اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات
والضروريات فلا بد من احكامها أولا لأتيقن أن ثقتي بالمحسوسات
وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل
في التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان
محقق لا غدر فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات
والضروريات وانظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها فانتهى
طول التشكك الى ان لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات
أيضا وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول من أين الثقة بالمحسوسات
وأقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك
وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك
وانه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن
له حالة وقوف وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم
الادلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الارض في المقدار
وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ويكذبه
حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل الى مدافعته فقلت قد بطلت
الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لا ثقة الا بالعقليات التي هي من الاوليات

فبصرك

أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم
لا ثقة به ولا أمان معه وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني

﴿ القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم ﴾

ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه
الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول
اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات
والضروريات فلا بد من احكامها أولا لاتبين أن ثقتي بالمحسوسات
وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل
في التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان
محقق لا غدر فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات
والضروريات وانظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها فانتهى بي
طول التشكك الى ان لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات
أيضا وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول من أين الثقة بالمحسوسات
وأقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك
وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك
وانه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له
حالة وقوف وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم
الادلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الارض في المقدار هذا
وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ويكذبه
حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل الى مدافعته فقلت قد بطلت
الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لا ثقة الا بالعقليات التي هي من الاوليات

فبصرك اليوم حديد) فلما خطرت لي هذه الخواطر انقدحت في
في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يمكن دفعه الا بالدليل
ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الاولية فاذا لم تكن مسلمة
لم يمكن تركيب الدليل فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنا
فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى
شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال
ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين
ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في
الصدر وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف فمن ظن أن الكشف
موقوف على الادلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة ولما سئل
رسول الله عليه السلام عن الشرح ومعناه في قوله تعالى (فمن يرد الله
أن يهديه يشرح صدره للاسلام) فقال (هو نور يقذفه الله تعالى
في القلب) فقيل وما علامته فقال (التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود) وهو الذى قال عليه السلام فيه (ان الله تعالى خلق
الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره) فمن ذلك النور ينبغي أن
يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود الالهي في بعض
الاحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام (ان لربكم في أيام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) والمقصود من هذه الحكايات أن
يعمل كمال الجد في الطلب حتى ينتهى الى طلب ما لا يطلب فان الاوليات
ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن
طلب ما لا يطلب فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب

﴿ القول في أصناف الطالبين ﴾

ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده وانحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق المتكلمون وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر والباطنية وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم والفلاسفة وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان والصوفية وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة فقلت في نفسي الحق لا يعدو عن هذه الاصناف الاربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع الى التقليد بعد مفارقته اذ من شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف الا أن يذاب بالنار ويستأنف لها صيغة أخرى مستجدة فابتدرت لسلوك هذه الطرق واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئا بعلم الكلام ومثنيا بطريق الفلسفة ومثلثا بتعليمات الباطنية ومربعا بطريق الصوفية

﴿ القول في بيان مقصود علم الكلام وحاصله ﴾

ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما أردت أن أصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي وانما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة فقد ألقى الله تعالى الى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته

عـرفانه القرآن والاخبار ثم القى الشيطان فى وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها فانشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى اليه فاحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة والتغيير فى وجه ما احدث من البدعة ولكنهم اعتمدوا فى ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطرهم الى تسليمها اما التقليد أو اجماع الامة أو مجرد القبول من القرآن والاخبار وكان أكثر خوضهم فى استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع فى جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيأ اصلا فلم يكن الكلام فى حقى كافيا ولا لدائى الذى كنت اشكوه شافيا نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون الى مجاوزة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الامور وخاضوا فى البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة فى اختلافات الخلق ولا ابعد ان يكون قد حصل ذلك لغيرى بل لست اشك فى حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد فى بعض الامور التى ليست من الاوليات والغرض الآن حكاية حالى لا الانكار على من استشفى به فان ادوية الشفاء تختلف باختلاف

الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر

﴿ القول في تحصيل الفلسفة ﴾

وما يذم منها وما لا يذم وما يكفر فيه قائله وما لا يكفر وما يبتدع فيه وما لا يبتدع وبيان ما سرقوه من كلام أهل الحق ومزجوه بكلامهم لترويج باطلهم في درج ذلك وكيفية حصول نفرة النفوس من ذلك الحق وكيفية استخلاص صراف الحقائق الحق الخالص من الزيف والبهرج من جملة كلامهم ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة فاذذاك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساده حقا ولم ار احدا من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلا عمن يدعي دقائق العلوم فعلمت ان رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ واقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وانا ممنو بالتدريس والافادة لثلاثمائة نفر من الطلبة ببغداد فاطلعني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل اواظب على التفكر فيه بعد

بعرفانه

فهذه قريبا من سنة اعاوده واردده واتفقد غوائله واغواره حتى
اطلعت على مافيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل اطلا
لم أشك فيه فاسمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم فانى رأيتهم
أصنافا ورأيت علومهم أقساما وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة
الكفر والالحاد وان كان بين القدماء منهم والاقدمين وبين الاوا
منهم والاوائل تفاوت عظيم فى البعد عن الحق والقرب منه

﴿ فصل فى اصنافهم وشمول وصمة الكفر كافتهم ﴾

اعلم أنهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلاثة
أقسام الدهريون والطبيعيون والالهيون (الصنف الاول الدهريون)
وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا
ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع ولم يزل الحيوا
من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا وهؤ
هم الزنادقة (الصنف الثانى الطبيعيون) وهم قوم أكثروا بحثهم ع
عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات وأكثروا الخوض فى ع
تشريح اعضاء الحيوانات فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدا
حكمته فاضطروا معه الى الاعتراف بقادر حكيم مطلع على غايا
الامور ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الاعضاء مطا
الا ويحصل له هذا العلم الضرورى بكمال تدبير البانى لبنية الحيوا
لاسيما بنية الانسان الا ان هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظ
عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم فى قوام قوى الحيوان به فظنو
ان القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا وانها تبطل ببطلا

مزاجه فينعدم ثم اذا انعدم فلا يعقل اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وانكروا الجنة والنار والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام وانهمكوا فى الشهوات انهماك الانعام وهؤلاء ايضا زنادقة لان اصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وان آمنوا بالله وبصفاته (الصنف الثالث الالهيون) وهم المتأخرون منهم سقراط وهو استاذ افلاطون وافلاطون استاذ ارسطاطاليس وارسطاطاليس هو الذى رتب لهم المنطق وهذب العلوم وخمر لهم ما لم يكن مخمرا من قبل وانضج لهم ما كان فجا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الاولين من الدهرية والطبيعية واوردوا فى الكشف عن فضائحهم ما اغنوا به غيرهم (وكفى الله المؤمنين القتال) بتقاتلهم ثم رد ارسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبله من الالهيين ردا لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم الا انه استبقى ايضا من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفارابى وغيرهما على انه لم يقم بنقل علم ارسطاطاليس احد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد او يقبل ومجموع ما صح عندنا من فلسفة ارسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر فى ثلاثة اقسام قسم يجب التكفير به وقسم يجب

التبديع به وقسم لا يجب انكاره أصلا فلنفصله

﴿ فصل في أقسام علومهم ﴾

اعلم ان علومهم بالنسبة الى الغرض الذى نطلبه ستة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية أما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شئ منها بالامور الدينية نفيا واثباتا بل هي أمور برهانية لاسبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منها آفتان الاولى من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ماتناولته الالسن فيكفر بالتقليد المحض ويقول لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم فيستدل على ان الحق هو الجحد والانكار للدين وكم رأيت من ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه واذا قيل له الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا في كل صناعة فلا يلزم ان يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقا في الطب ولا ان يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها البراعة والسبق وان كان الحمق والجهل قد يلزمهم في غيرها فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر على هذا الذى اتخذ بالتقليد لم يقع منه موقع القبول بل تحمله غلبة الهوى وشهوة البطالة وحب

التكايس على ان يصر على تحسين الظن بهم فى العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض فى تلك العلوم فانها وان لم تتعلق بامر الدين لكن لما كانت من مبادى علومهم يسرى اليه شرهم وشؤمهم فقل من يخوض فيه الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى

(الآفة الثانية) نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغى ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم فى الكسوف والخسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك فى برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبنى على الجهل وانكار البرهان القاطع فيزداد للفلسفة حبا وللاسلام بغضا ولقد عظم على الدين جنايةً من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس فى الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفى والاثبات ولا فى هذه العلوم تعرض للامور الدينية وقوله عليه السلام (ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة) ليس فى هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعرف بسير الشمس والقمر واجتماعهما أو مقابلتهما على وجه مخصوص وأما قوله لكن الله اذا تجلى لشئ خضع له فليس توجد هذه الزيادة فى الصحاح أصلا فهذا حكم الرياضيات وآفتها (وأما المنطقيات) فلا يتعلق شئ منها بالدين نفيا واثباتا بل هو النظر فى طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات

البرهان

البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم اما تصور وسبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس فى هذا ما ينبغى ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون واهل النظر فى الادلة وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء فى التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل (ا) (ب) لزم ان بعض (ب) (ا) اى اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية وأى تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر فاذا أنكر لم يحصل من انكاره عند أهل المنطق الا سوء الاعتقاد فى عقل المنكر بل فى دينه الذى يزعم انه موقوف على مثل هذا الانكار نعم لهم نوع من الظلم فى هذا العلم وهو انهم يجمعون للبرهان شروطا يعلم انها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر فى المنطق أيضا من يستحسنه ويراه واضحا فيظن ان ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه الآفة أيضا متطرقة اليه

﴿ وأما علم الطبيعيات ﴾ فهو بحث عن أجسام العالم السموات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن اسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهى بحث الطبيب عن جسم الانسان

واعضائه الرئيسة والخادمة واسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط
الدين انكار علم الطب فليس من شرطه أيضا انكار ذلك العلم
الا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما
يجب المخالفة فيها فعند التأمل يتبين انها مندرجة تحتها واصل جملتها
ان يعلم ان الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعملة من
جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بامره لا فعل
لشيء منها بذاته عن ذاته ﴿ وأما الالهيات ﴾ ففيها اكثر اغاليطهم
فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق ولذلك كثر
الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب ارسطاطاليس مذهبه فيها من
مذاهب الاسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع
ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين أصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها
وتبديعهم في سبعة عشر ولابطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين
صنفنا كتاب التهافت أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين
وذلك في قولهم ان الاجساد لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي
الارواح المجردة والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا
في اثبات الروحانية فانها كائنة أيضا ولكن كذبوا في انكار
الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله
تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات فهو أيضا كفر صريح بل الحق انه
(لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) ومن ذلك
قولهم بقدم العالم وازليته فلم يذهب أحد من المسلمين الى شيء من هذه
المسائل وأما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم انه عليم بالذات لا بعلم

زائد على الذات وما يجري مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذهب
المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب فيصل
التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يتبين فيه فساد رأي من يتسارع الى
التكفير في كل ما يخالف مذهبه (وأما السياسيات) فمجموع
كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية
السلطانية وانما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم
المأثورة عن سلف الاولياء ﴿ وأما الخلقية ﴾ فجميع كلامهم
فيها يرجع الى حصر صفات النفس واخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها
وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما أخذوها من كلام الصوفية وهم
المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك
الطريق الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في
مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات اعمالها ما صرحوا بها
فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل بها
الى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من
المتألهين لا يخلي الله العالم عنهم فانهم اوتاد الارض ببركتهم تنزل
الرحمة الى أهل الارض كما ورد في الخبر حيث قال عليه السلام
(بهم تمطرون وبهم ترزقون ومنهم كان أصحاب الكهف) وكانوا في
سالف الازمنة على ما نطق به القرآن فتولد من مزجهم كلام النبوة
وكلام الصوفية بكتبهم آفتان آفة في حق القابل وآفة في حق الراد
أما آفته في حق من رده فعظيمة اذ ظنت طائفة من الضعفاء ان
ذلك الكلام اذ كان مدونا في كتبهم وممزوجا بباطلهم ينبغي ان

بعضهم ولا يذكر بل ينكر على كل من يذكره لانهم اذا لم يسمعوه أولا الا منهم سبق الى عقولهم الضعيفة انه باطل لان قائله مبطل كالذى يسمع من النصرانى قول (لا اله الا الله عيسى رسول الله) فينكره ويقول هذا كلام النصرانى ولا يتوقف ريثما يتأمل ان النصرانى كافر باعتبار هذا القول أو باعتبار انكاره نبوة محمد عليه السلام فان لم يكن كافراً الا باعتبار انكاره فلا ينبغى ان يخالف فى غير ما هو كافر به مما هو حق فى نفسه وان كان ايضا حقا عنده وهذه عادة ضعفى العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق والعاقل يقتدى بسيد العقلاء على رضى الله تعالى عنه حيث (قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله) فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر فى نفس القول فان كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل اهل الضلال عالما بان معدن الذهب الرغام ولا بأس على الصراف ان ادخل يده فى كيس القلاب وانتزع الابريز الخالص من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته فانما يزجر عن معاملة القلاب القروى دون الصيرفى البصير ويمنع من ساحل البحر الاخرق دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحية الصبى دون المعزم البارع ولعمرى لما غلب على اكثر الخلق ظنهم بانفسهم الحذاقة والبراعة وكمال العقل فى تمييز الحق عن الباطل والهدى عن الضلالة وجب حسم الباب فى زجر الكافة عن مطالعة كتب اهل الضلالة ما امكن اذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التى سنذكرها وان سلموا عن هذه الآفة التى ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة فى تصانيفنا

في اسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرائرهم
ولم تنفتح الى اقصى غايات المذاهب بصائرهم وزعمت ان تلك الكلمات
من كلام الاوائل مع ان بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد ان
يقع الحافر على الحافر وبعضها يوجد في الكتب الشرعية واكثرها
موجود معناها في كتب الصوفية وهب انها لم توجد الا في كتبهم فاذا
كان ذلك الكلام معقولا في نفسه مؤيدا بالبرهان ولم يكن على مخالفة
الكتاب والسنة فلم ينبغي ان يهجر وينكر فلو فتحنا هذا الباب
وتطرقنا الى ان يهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل للزمنا ان نهجر
كثيرا من الحق ولزمنا ان نهجر جملة من آيات القرآن واخبار الرسول
وحكايات السلف وكلمات الحكماء والصوفية لان صاحب كتاب اخوان
الصفا اوردها في كتابه مستشهدا بها ومستدرجا قلوب الحمقى بواسطتها
الى باطله ويتداعى ذلك الى ان يستخرج المبطلون الحق من ايدينا
بايداعهم اياها كتبهم واقل درجة العالم ان يتميز عن العامي الغمر فلا
يعاف العسل وان وجده في محجمة الحجام ويتحقق ان المحجمة لا تغير
ذات العسل وان نفرة الطبع منه مبني على جهل عامي منشؤه ان
المحجمة انما صنعت للدم المستقذر فيظن ان الدم مستقذر لكونه في
المحجمة ولا يدري انه مستقذر بصفة في ذاته فاذا عدمت هذه الصفة
في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة فلا ينبغي ان يوجب له
الاستقذار وهذا وهم باطل وهو غالب على اكثر الخلق فمهما نسبت
الكلام واسندته الى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وان كان باطلا
وان اسندته الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا فابدا يعرفون

الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال هذه آفة الرد (الآفة الثانية) آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان الصفا وغيره فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية والكلمات الصوفية ربما استحسنها وقبلها وحسن اعتقاده فيها فيسارع الى قبول باطلهم الممزوج به بحسن ظن حصل مما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج الى الباطل ولاجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر والخطر وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات يجب صون الاسماع عن مختلط تلك الكلمات وكما يجب على المعزم ان لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل اذا علم انه سيقتدي به ويظن انه مثله بل يجب عليه ان يحذره منه بان يحذر هو في نفسه بين يديه فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله وكما ان المعزم الحاذق اذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم فاستخرج منها الترياق وابطل السم فليس له ان يشح بالترياق على المحتاج اليه وكذلك الصراف الناقد البصير اذا ادخل يده في كيس القلاب واخرج منه الابريز الخالص واطرح الزيف والبهرج فليس له ان يشح بالجيد المرضي على من يحتاج اليه كذلك العالم وكما ان المحتاج الى الترياق اذا اشمأزت نفسه عنه حيث علم انه مستخرج من الحية التي هي مركز السم والفقير المضطر الى المال اذا نفر عن قبول الذهب المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه على ان نفرته جهل محض هو سبب حرمانه عن الفائدة التي هي مطلبه ويحتم تعريفه

قرب

قرب الجوار بين الزيف والجيد لا يجعل الجيد زيفا كما لا يجعل الزيف جيدا فكذلك قرب الجوار بين الحق والباطل لا يجعل الباطل حقا كما لا يجعل الحق باطلا فهذا مقدار ما اردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها

﴿ القول في مذهب التعليم وغائلته ﴾

ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما يزيف منه علمت ان ذلك ايضا غير واف بكمال الغرض وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات وكان قد نبغت نابغة التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الامور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق عن لي ان ابحث عن مقالاتهم لاطلع على ما في كتبهم ثم اتفق ان ورد علي امر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته وصار ذلك مستحثا من خارج ضميمة للباعث الاصلي من الباطن فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر اهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى انكر بعض اهل الحق مني مبالغتي في تقرير حجتهم وقال هذا سعي لهم فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك اياها وهذا الانكار من وجه حق فلقد انكر احمد بن حنبل على الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة

فرض فقال احد نعم ولكن حكيت شبهتهم أولا ثم اجبت عنها فلم
تأمن ان يطالع الشبهة من تعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب
أو ينظر الى الجواب ولا يفهم كنهه وما ذكره احمد حق ولكن في شبهة
لم تنتشر ولم تشتهر أما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب
الا بعد الحكاية نعم ينبغي ان لا يتكلف لهم شبهة لم يتكلفوها ولم
اتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من
أصحابي المختلفين الي بعد ان كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم
وحكى انهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فانهم لم
يفهموا بعد حجتهم وذكر تلك الحجة وحكاها عنهم فلم أرض لنفسي ان
يظن بي غفلة عن أصل حجتهم فلذلك أوردتها ولا ان يظن بي اني وان
سمعتها لم افهمها فلذلك قررتها والمقصود اني قررت شبهتهم الى
اقصى الامكان ثم اظهرت فسادها والحاصل انه لا حاصل عند هؤلاء
ولا طائل لكلامهم ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك
البدعة مع ضعفها الى هذه الدرجة ولكن شدة التعصب دعت
الذابين عن الحق الى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم والى
مجاحدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدوهم في دعواهم الحاجة الى
التعليم والى المعلم ودعواهم انه لا يصلح كل معلم بل لا بد من معلم معصوم
وظهرت حجتهم في اظهار الحاجة الى التعليم والى المعلم وضعف قول
المنكرين في مقابلته فاغتر بذلك جماعة وظنوا ان ذلك من قوة
مذهبهم وضعف مذهب المخالف له ولم يفهموا ان ذلك لضعف ناصر
الحق وجهله بطريقه بل الصواب الاعتراف بالحاجة الى معلم وانه لا بد

وان

وان يكون المعلم معصوما ولكن معلمنا المعصوم هو محمد عليه السلام
فاذا قالوا هو ميت فنقول ومعلمكم غائب فاذا قالوا معلمنا قد علم الدعاة
وبثهم في البلاد وهو ينتظر مراجعتهم ان اختلفوا أو اشكل عليهم
مشكل فنقول ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد وأكمل التعليم
اذ قال الله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) وبعد كمال التعليم لا يضر
موت المعلم كما لا يضر غيبته بقي قولهم كيف تحكمون فيما لم تسمعوه
أفبالنص ولم تسمعوه أم بالاجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف فنقول
نفعل ما فعله معاذ اذ بعثه رسول الله عليه السلام الى اليمن أو نحكم
بالنص عند وجوده وبالاجتهاد عند عدمه بل كما يفعله دعاتهم اذا
بعدوا عن الامام الى أقاصي الشرق اذ لا يمكنه أن يحكم بالنص فان
النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع الغير المتناهية ولا يمكنه
الرجوع في كل واقعة الى بلدة الامام والى أن يقطع المسافة ويرجع
ويكون المستفتي قد مات وفات الانتفاع بالرجوع فمن أشكلت عليه
القبلة ليس له طريق الا أن يصلي بالاجتهاد اذ لو سافر الى بلدة
الامام لمعرفة القبلة لفات وقت الصلاة فاذا جازت الصلاة الى غير
القبلة بناء على الظن ويقال ان المخطئ في الاجتهاد له أجر واحد
وللمصيب أجران فكذلك في جميع المجتهدات وكذلك أمر صرف
الزكاة الى الفقير وربما يظنه فقيرا باجتهاده وهو غني باطنا باخفائه
ماله ولا يكون مؤاخذا به وان أخطأ لانه لم يؤاخذ الا بموجب ظنه
فان قال ظن مخالفه كظنه فنقول هو مأمور باتباع ظن نفسه كالمجتهد
في القبلة يتبع ظن نفسه وان خالفه غيره وان قال فالمقلد يتبع أبا

حنيفة والشافعي رحمهما الله أو غيرهما فأقول والمقلد في القبلة عند
الاشتباه اذا اختلف عليه المجتهدون كيف يصنع فسيقول له مع
نفسه اجتهاد في معرفته الافضل الاعلم بدلائل القبلة فيتبع ذلك
الاجتهاد فكذلك في المذاهب فرد الخلق الى الاجتهاد ضرورة
الانبياء والائمة مع العلم قد يخطئون بل قال رسول الله عليه السلام
(أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) أى أنا أحكم بغالب الظن
الحاصل من قول الشهود وربما أخطؤوا فيه ولا سبيل الى الامن من
الخطأ للانبياء في مثل هذه المجتهدات فكيف يطمع في ذلك ولهم ههنا
سؤالان أحدهما قولهم هذا وان صح في المجتهدات فلا يصح في قواعد
العقائد اذ المخطئ فيه غير معذور فكيف السبيل اليه فأقول قواعد
العقائد يشتمل عليها الكتاب والسنة وما وراء ذلك من التفصيل
والمتنازع فيه يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس المستقيم وهي
الموازين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وهي خمسة ذكرتها في كتاب
القسطاس المستقيم فان قال خصومك يخالفونك في ذلك الميزان فأقول
لا يتصور ان يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه اذ لا يخالف فيه أهل
التعليم لاني استخرجته من القرآن وتعلمته منه ولا يخالف فيه أهل
المنطق لانه موافق لما شرطوه في المنطق غير مخالف له ولا يخالف
فيه المتكلم لانه موافق لما يذكره في أدلة النظريات وبه يعرف الحق
في الكلاميات فان قال فان كان في يدك مثل هذا الميزان فلم لا ترفع
الخلاف بين الخلق فأقول لو أصغوا الي لرفعت الخلاف بينهم وذكرت
طريق رفع الخلاف في كتاب القسطاس المستقيم فتأمله لتعلم أنه حق

وانه

وأنه يرفع الخلاف قطعا فاصغوا ولا يصغون بأجمعهم بل قد أصغى إلى طائفة فرفعت الخلاف بينهم وامامك يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم فلم يرفع إلى الآن ولم يرفع (علي رضي الله عنه) وهو رأس الأئمة أو يدعي أنه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء قهرا فلم يحملهم إلى الآن ولأي يوم أجله وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته الا زيادة خلاف وزيادة مخالف نعم كان يخشى من الخلاف نوع من الضرر لا ينتهي الى سفك الدماء وتخريب البلاد وايتام الاولاد وقطع الطرق والاغارة على الاموال وقد حدث في العالم من بركات رفعكم الخلاف ما لم يكن بمثله عهد فان قال ادعيت انك ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين المذاهب المتعارضة والاختلافات المتقابلة لم يلزمه الاصغاء اليك دون خصمك ولك خصوم يخالفونك ولا فرق بينك وبينهم وهذا هو سؤالهم الثاني فأقول هذا أولا ينقلب عليك فانك اذا دعوت هذا المتحير الى نفسك فيقول المتحير بم صرت أولى من مخالفيك وأكثر أهل العلم يخالفونك فليت شعري بماذا تجيب أتجيب بأن تقول امامي منصوص عليه فمن يصدقك في دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول وانما سمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك ثم هب أنه سلم لك النص فاذا كان متحيرا في أصل النبوة فقال هب ان امامك يدلي بمعجزة عيسى فيقول الدليل على صدقي اني أحيي أباك فأحياه فناطقني بأني محق فبماذا أعلم صدقه ولم يعرف كافة الخلق صدق عيسى بهذه المعجزة بل عليه من الاسئلة المشكلة ما لا يرفع الا بتدقيق النظر العقلي والنظر العقلي

لا يوثق به عندك ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق ما لم يعرف
السحر والتمييز بينه وبين المعجزة وما لم يعرف ان الله لا يضل عباده
وسؤال الاضلال وعسر الجواب عنه مشهور فبماذا يدفع جميع ذلك
ولم يكن امامك أولى بالمتابعة من مخالفه فيرجع الى الادلة النظرية
التي ينكرها وخصمه يدلي بمثل تلك الادلة وأوضح منها وهذا السؤال
قد انقلب عليهم انقلابا عظيما واجتمع أولهم وآخرهم على أن يحرروا
عنه جوابا لم يقدروا عليه وانما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة
ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل بالجواب وذلك مما يطول فيه الكلام
ولا يسبق سريعا الى الافهام فلا يصلح للافحام فان قال قائل فهذا
هو القلب فهل عنه جواب فأقول نعم جوابه أن المتحير ان قال أنا متحير
ولم يعين المسألة التي هو متحير فيها يقال له أنت كمريض يقول أنا
مريض ولا يذكر عين مرضه ويطلب علاجه فيقال له ليس في الوجود
علاج للمرض المطلق بل لمرض معين من صداع أو اسهال أو غيرهما
فكذلك المتحير ينبغي أن يعين ما هو متحير فيه فان عين المسألة عرفته
الحق فيها بالوزن بالموازين الخمسة التي لا يفهمها أحد الا ويعترف بانه
الميزان الحق الذي يوثق بكل ما يوزن به فيفهم الميزان ويفهم أيضا
منه صحة الوزن كما يفهم متعلم علم الحساب نفس الحساب وكون الحاسب
المعلم عالما بالحساب وصادقا فيه وقد أوضحت ذلك في كتاب القسطاس
في مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود الآن بيان فساد
مذهبهم فقد ذكرت ذلك في كتاب المستظهري أولا وفي كتاب حجة
الحق ثانيا وهو جواب كلام لهم عرض علي ببغداد وفي كتاب مفصل
الخلاف

الخلاف الذى هو اثنا عشر فصلا ثالثا وهو جواب كلام عرض على بهمدان وفى كتاب الدرج المرقوم بالجداول رابعا وهو من ركيك كلامهم الذى عرض على بطوس وفى كتاب القسطاس خامسا وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء عن الامام لمن أحاط به بل المقصود ان هؤلاء ليس معهم شئ من الشفاء المنجى من ظلمات الآراء بل هم مع عجزهم عن اقامة البرهان على تعيين الامام طال ما جربناهم فصدقناهم فى الحاجة الى التعليم والى المعلم المعصوم وانه الذى عينوه ثم سألناهم عن العلم الذى تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا أحالوا على الامام الغائب وقالوا انه لابد من السفر اليه والعجب انهم ضيعوا اعمارهم فى طلب المعلم وفى التبجح بالظفر به ولم يتعلموا منه شيأ أصلا كالمتضمخ بالنجاسة يتعب فى طلب الماء حتى اذا وجده لم يستعمله وبقى متضمخا بالخبائث ومنهم من ادعى شيأ من علمهم وكان حاصل ما ذكره شيأ من ركيك فلسفة فيثاغورس وهو رجل من قدماء الاوائل ومذهبه أرك مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه ارسطاطاليس بل استرك كلامه واسترذله وهو المحكى فى كتاب اخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلسفة فالعجب ممن يتعب طول العمر فى تحصيل العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغث ويظن انه ظفر باقصى مقاصد العلوم فهؤلاء ايضا جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم فرجع حاصلهم الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم ومجادلتهم فى انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام قوى

منهم حتى اذا ساعدهم على الحاجة الى المعلم مساعد وقال هات علمه
وأفدنا من تعليمه وقف وقال الآن اذا سلمت لي هذا فاطلبه فانما
غرضي هذا القدر فقد علم انه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن
حل أدنى المشكلات بل عجز عن فهمه فضلا عن جوابه فهذه حقيقة
حالهم فاخبرهم تقلهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضا

﴿ القول في طريق الصوفية ﴾

ثم اني لما فرغت من هذه العلوم اقبلت بهمتي على طريق الصوفية
وعلمت ان طريقتهم انما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات
النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل
بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله وكان العلم أيسر
علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت
القلوب لابي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي
والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك
من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت
ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع وظهر لي ان أخص
خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل
الصفات فكم من الفرق بين ان يعلم حد الصحة وحد الشبع واسبابهما
وشروطهما وبين ان يكون صحيحا وشبعان وبين ان يعرف حد السكر
وانه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة على
معادن الفكر وبين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد
السكر وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء والصاحي يعرف حد
السكر

السكر واركانه وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض
يعرف حد الصحة واسبابها وادويتها وهو فاقد الصحة فكذلك فرق
بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطها واسبابها وبين أن يكون حالك
الزهد وعزوب النفس عن الدنيا فعلمت يقينا انهم أرباب أحوال
لا اصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق
الا ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل
معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن
صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة
وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في
نفسي لا بدليل معين محرر بل باسباب وقرائن وتجارب لا تدخل
تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع لي في سعادة
الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع
علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن
الجاه والمال والهرب عن الشواغل والعلائق ثم لاحظت احوالي فاذا
انا منغمس في العلائق وقد احدقت بي من الجوانب ولاحظت
أعمالي واحسنها التدريس والتعليم فاذا انا فيها مقبل على علوم غير
مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس
فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه
وانتشار الصيت فتيقنت اني على شفا جرف هار واني قد اشفيت على
النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم أزل اتفكر فيه مدة وانا بعد على

مقام الاختيار اصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال
يوما واحل العزم يوما واقدم فيه رجلا واؤخر عنه اخرى لا يصفو لي
رغبة في طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليه جند الشهوة حملة فيفترها
عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ومنادي
الايمان ينادي الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الا قليل وبين
يديك السفر الطويل وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل
فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن فمتى تقطع
فعند ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود
الشيطان ويقول هذه حالة عارضة واياك ان تطاوعها فانها سريعة
الزوال وان اذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشان
المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والامر المسلم الصافي عن منازعة
الخصوم ربما التفت اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم ازل اتردد
بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبا من ستة اشهر اولها
رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الامر حده
الاختيار الى الاضطرار اذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل عن
التدريس فكنت اجاهد نفسي ان ادرس يوما واحدا تطييبا للقلوب
المختلفة وكان لا ينطلق لساني بكلمة ولا استطيعها البتة ثم اورثت
هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطل معه قوة الهضم ومراءة الطعام
والشراب فكان لا ينساغ لي شربة ولا تنهضم لقمة وتعدى الى ضعف
القوى حتى قطع الاطباء طمعهم من العلاج وقالوا هذا امر نزل بالقلب
ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بان يتروح السر عن
الهم

فلما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله
التجاء المضطر الذي لا حيلة له فاجابني الذي (يجيب المضطر
اذا دعاه) وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد
والاصحاب واظهرت عزم الخروج الى مكة وانا اوري في نفسي سفر
الشام حذرا ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي في المقام
بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم ان لا
اعاودها ابدا واستهدفت لائمة اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من
يجوز ان يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا ان ذلك
هو المنصب الاعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من
جهة الولاة واما من قرب من الولاة فكان يشاهد الحاحهم في التعلق
بي والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون
هذا امر سماوي وليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة
العلم ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم ادخر الا قدر
الكفاف وقوت الاطفال ترخصا بان مال العراق مرصد للمصالح
لكونه وقفا على المسلمين فلم ار في العالم مالا ياخذه العالم لعياله اصلح
منه ثم دخلت الشام واقمت به قريبا من سنتين لا شغل لي الا العزلة
الخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية
فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول
النهار واغلق بابها على نفسي ثم دخلت منها الى بيت المقدس ادخل

كل يوم الصخرة واغلق بابها على نفسي ثم تحركت في داعية فريضة
الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه
السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز
ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت
ابعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت العزلة ايضا حرصا على الخلوة
وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال
وضرورات المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان
لا يصفو الحال الا في اوقات متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع طمعي منها
فتدفعني عنها العوائق واعود اليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين
وانكشف لي في اثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاؤها
واستقصاؤها والقدر الذي اذكره لينتفع به اني علمت يقينا أن الصوفية
هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير
وطريقهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لو جمع عقل
العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء
ليغير واشيئا من سيرهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا
اليه سبيلا وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة
من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور
يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي اول
شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري
منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله
وآخرها الفناء بالكلية في الله وهذا آخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل

تحت

تحت الاختيار والكسب من اوائلها وهي على التحقيق اول الطريقة
وما قبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن أول الطريقة تبتدئ
المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة
وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى
الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق
النطق ولا يحاول معبر ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح
لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد يتخيل
منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطاء
وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الاقصى بل الذي لابسته تلك
الحالة لا ينبغي ان يزيد على ان يقول شعر

وكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة
الا الاسم وكرامات الاولياء على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك
اول حال رسول الله عليه السلام حين اقبل الى جبل حراء حين كان يخلو
فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب ان محمدا عشق ربه وهذه حالة
يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها
بالتجربة والتسامع ان اكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن
الاحوال يقينا فمن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم
لا يشقى جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم امكان ذلك يقينا بشواهد
البراهين على ما ذكرناه في كتاب عجائب القلب من كتب احياء علوم
الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق

والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان فهذه ثلاث درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون ويسخرون ويقولون العجب انهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فأصمهم وأعمى أبصارهم) ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقهم حقيقة النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على أصلها لشدة مسيس الحاجة اليها

القول في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها

اعلم ان جوهر الانسان في أصل الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى كما قال (وما يعلم جنود ربك الا هو) وانما خبره من العالم بواسطة الادراك وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من الموجودات ونعني بالعوالم اجناس الموجودات فأول ما يخلق في الانسان حاسة اللمس فيدرك بها اجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس قاصر عن الالوان والاصوات قطعا بل هي كالمعدوم في حق اللمس ثم يخلق له البصر فيدرك به الالوان والاشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات ثم ينفتح له السمع فيسمع الاصوات والنغمات ثم يخلق له الذوق كذلك الى ان يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب من سبع

سنين وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك فيه أمورا زائدة على عالم
المحسوسات لا يوجد منها شيء في عالم الحس ثم يترقى الى طور آخر فيخلق
له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وأمورا لا توجد
في الاطوار التي قبله وو راء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر
بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمورا أخر العقل معزول عنها
كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات
التمييز وكما ان المميز لو عرض عليه مدركات العقل لاباها واستبعدها
فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها وذلك عين
الجهل اذ لا مستند لهم الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فيظن انه
غير موجود في نفسه والاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان
والاشكال وحكي له ذلك ابتداء لم يفهمها ولم يقر بها وقد قرب الله
تعالى على خلقه بان اعطاهم انموذجا من خاصية النبوة وهو النوم
اذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب اما صريحا واما في كسوة مثال
يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الانسان من نفسه وقيل له ان من
الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول عنه احساسه وسمعه
وبصره فيدرك الغيب لانكره واقام البرهان على استحالته وقال
القوى الحساسة أسباب الادراك فمن لم يدرك الاشياء مع وجودها
وحضورها فبأن لا يدرك مع ركودها أولى وأحق وهذا نوع قياس
يكذبه الوجود والمشاهدة فكما ان العقل طور من أطوار الآدمي
يحصل فيه عين يبصر بها أنواعا من المعقولات الحواس معزولة عنها
فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها

الغيب وأمور لايدركها العقل والشك فى النبوة اما ان يقع فى امكانها
أو فى وجودها ووقوعها أو فى حصولها لشخص معين ودليل امكانها
وجودها ودليل وجودها وجود معارف فى العالم لايتصور ان تنال
بالعقل كعلم الطب والنجوم فان من يبحث عنها علم بالضرورة انها
لايدركان الا بالهام الهى وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل اليها
بالتجربة فن الاحكام النجومية مالايقع الا فى كل الف سنة مرة فكيف
ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية فتبين بهذا البرهان ان
فى الامكان وجود طريق لادراك هذه الامور التى لايدركها العقل
وهو المراد بالنبوة لان النبوة عبارة عنها فقط بل ادراك هذا الجنس
الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ولها خواص
كثيرة سواها وماذكرناه قطرة من بحرها انما ذكرناها لان معك
أنموذجا منها وهو مدركاتك فى النوم ومعك علوم من جنسها فى
الطب والنجوم وهى معجزات الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة
العقل أصلا أما ماعدا هذا من خواص النبوة فانما يدرك بالذوق
من سلوك طريق التصوف لان هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو
النوم ولولاه لما صدقت به فان كان للنبى خاصية ليس لك منها
أنموذج فلا تفهمها أصلا فكيف تصدق بها وانما التصديق بعد
التفهم وذلك الانموذج يحصل فى أوائل طريق التصوف فيحصل به
نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لايحصل
بالقياس اليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للايمان بأصل
النبوة فان وقع لك الشك فى شخص معين انه نبى أم لا فلا يحصل
اليقين

اليقين الا بمعرفة أحواله اما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامع فانك اذا عرفت الطب والفقه يمكنك أن تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وان لم تشاهدهم ولا تعجز أيضا عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير بان تتعلم شيأ من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضروري بحالهما فكذلك اذا فهمت معنى النبوة فأكثر النظر في القرآن والاخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب وكيف صدق في قوله (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وكيف صدق في قوله (من أعان ظالما سلطه الله عليه) وكيف صدق في قوله (من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة) فاذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف حصل لك علم ضروري لا تتمارى فيه فمن ذلك الطريق فاطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ولم تنضم اليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت أنه سحر وتخييل وانه من الله اضلال فانه (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وترد عليك مسألة المعجزات فان كان مستند ايمانك كلاما منظوما في وجه دلالة المعجزة فينجزم ايمانك بكلام مرتب في وجه الاشكال والشبهة عليها فليكن مثل هذه الخوارق احدى الدلائل والقرائن في جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر

مستنده على التعيين كالذى يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدرى ولا يخرج عن جملة ذلك ولا يتعين للآحاد فهذا هو الايمان القوى العلمى وأما الذوق فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ولا يوجد الا فى طريق التصوف فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف فى الغرض الذى اقصده الآن وسأذكر وجه الحاجة اليه

﴿ القول فى سبب نشر العلم بعد الاعراض عنه ﴾

ثم انى لما واظبت على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين وبان لى فى أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهانى ومرة بالقبول الايمانى ان الانسان خلق من بدن وقلب وأعنى بالقلب حقيقة روحه التى هى محل معرفة الله دون اللحم والدم الذى يشارك فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو (الا من أتى الله بقلب سليم) وله مرض فيه هلاكه الابدى الاخروى كما قال تعالى (فى قلوبهم مرض) وان الجهل بالله سم مهلك وان معصية الله بمتابعة الهوى داؤه الممرض وأن معرفة الله تعالى ترياقه المحيى وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه الشافى وانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بأدوية كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك وكما ان أدوية البدن تؤثر فى كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين أخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء

الاشياء فكذلك بان لي على الضرورة أن أدوية العبادات بحدودها
ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء لا يدرك وجه تأثيرها
ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين أدركوا تلك
الخواص بنور النبوة لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية تركبت من
النوع والمقدار فبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار فلا يخلو
اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص فكذلك العبادات
التي هي ادوية داء القلوب مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار
حتى ان السجود ضعف الركوع وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في
المقدار فلا يخلو عن سر من الاسرار هو من قبيل الخواص التي لا يطلع
عليها الا بنور النبوة فقد تحامق وتجاهل جدا من اراد ان يستنبط
بطريق العقل لها حكمة أو ظن انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر
الهي فيها يقتضيها بطريق الخاصية وكما ان في الادوية أصولا هي
أركانها وزوائد هي متمماتها لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال
أصولها كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان
العبادات وعلى الجملة فالانبياء اطباء أمراض القلوب وانما فائدة
العقل وتصرفه ان عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه
بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة وأخذ بايدينا وسلمنا اليها تسليم
العميان الى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين
والى ههنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن
تفهيم ما يلقيه الطبيب اليه فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية
مجرى المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة ثم رأينا فتور الاعتقادات

فى أصل النبوة ثم فى حقيقة النبوة ثم فى العمل بما شرحته
النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق فنظرت فى أسباب فتور
الخلق وضعف ايمانهم فاذا هى أربعة سبب من الخائضين فى علم
الفلسفة وسبب من الخائضين فى طريق التصوف وسبب من
المنتسبين الى دعوى التعليم وسبب من معاملة الموسومين بالعلم
فيما بين الناس فانى تتبعت مدة آحاد الخلق اسأل من يقصر منهم
فى متابعة الشرع واسأله عن شبهته وابحث عن عقيدته
وسره وقلت له مالك تقصر فيها فان كنت تؤمن بالآخرة ولست
تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة فانك لا تبيع الاثنين
بواحد فكيف تبيع ما لا نهاية له بايام معدودة وان كنت لا تؤمن
به فانت كافر فدبر نفسك فى طلب الايمان وانظر ما سبب كفرك
الخفى الذى هو مذهبك باطنا وهو سبب جرأتك ظاهرا وان كنت
لا تصرح به تجملا بالايمان وتشرفا بذكر الشرع فقائل يقول
هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء اجدر بذلك وفلان
من المشاهير بين الفضلاء لا يصلى وفلان يشرب الخمر وفلان يأكل
أموال الاوقاف وأموال اليتامى وفلان يأكل ادرار السلطان ولا يحترز
عن الحرام وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا الى
أمثاله وقائل ثان يدعى علم التصوف ويزعم انه قد بلغ مبلغا ترقى عن
الحاجة الى العبادة وقائل ثالث يتعلل بشبهة اخرى من شبهات أهل
الاباحة وهؤلاء هم الذين ضلوا عن طريق التصوف وقائل رابع لقى
أهل التعليم فيقول الحق مشكل والطريق اليه متعسر والاختلاف فيه

كثير

explain

He has no need for prayer

كثير وليس بعض المذاهب أولى من البعض وادلة العقول متعارضة
فلا ثقة برأي أهل الرأي والداعي الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف أدع
اليقين بالشك وقائل خامس يقول لست افعل هذا تقليدا ولكني
قرأت علم الفلسفة وادركت حقيقة النبوة وان حاصلها يرجع الى
الحكمة والمصلحة وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق
وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات فما انا
من العوام الجهال حتى ادخل في حجر التكليف وانما أنا من الحكماء
اتبع الحكمة وانا بصير بها مستغن فيها عن التقليد هذا منتهى ايمان من
قرا مذهب فلسفة الالهيين منهم وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وابي
نصر الفارابي وهؤلاء هم المتجملون منهم بالاسلام وربما ترى الواحد
منهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه
ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذا
قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي فربما يقول رياضة الجسد
وعادة أهل البلد وحفظ المال والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة
حق فيقال فلم تشرب الخمر فيقول انما نهي عن الخمر لانها تورث العداوة
والبغضاء وانا بحكمتي محترز عن ذلك وانما أقصد به تشحيذ خاطري حتى
ان ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها انه عاهد الله تعالى على كذا
وكذا وان يعظم الاوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية
والبدنية ولا يشرب تلهيا بل تداويا وتشافيا فكان منتهى حالته في
صفاء الايمان والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لغرض التشفي
فهذا ايمان من يدعي الايمان منهم وقد انخدع بهم جماعة وزادهم

اخذا عاضعف اعتراض المعترضين عليهم اذا اعترضوا بجاحدة علم
الهندسة والمنطق وغير ذلك مما هو ضرورى لهم على ما نبهنا عليه
من قبل فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد
بهذه الاسباب ورأيت نفسى ملية بكشف هذه الشبهة حتى كان
افضاح هؤلاء ايسر عندى من شربة ماء لكثرة خوضى فى علومهم
أعنى الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمترسمين من العلماء انقدح
فى نفسى ان ذلك متعين فى هذا الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوة
والعزلة وقد عم الداء ومرض الاطباء وأشرف الخلق على الهلاك
ثم قلت فى نفسى ومتى تشتغل انت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه
الظلمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت بدعوة
الخلق عن طرقهم الى الحق لعاداك أهل الزمان باجمعهم وأنى
تقاومهم فكيف تعايشهم ولا يتم ذلك الا بزمان مساعد وسلطان
متدين قاهر فترخصت بينى وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللا
بالعجز عن اظهار الحق بالحجة فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان
الوقت من نفسه لا بتحريك من خارج فامر أمر الزام بالنهوض الى
نيسابور لتدارك هذه الفترة وبلغ الالزام حدا كان ينتهى لو اصررت
على الخلاف الى حد الوحشة فخطر لى ان سبب الرخصة قد ضعف فلا
ينبغى ان يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة وطلب
عز النفس وصونها عن اذى الخلق ولم ترخص نفسك عسر مقاساة
الخلق والله تعالى يقول (بسم الله الرحمن الرحيم الم أحسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ولقد فتنا الذين

من

من قبلهم الآية) ويقول عز وجل لرسوله وهو اعز خلقه (ولقد
كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم
نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين * ويقول
عز وجل (بسم الله الرحمن الرحيم يس * والقرآن الحكيم * الى
قوله انما تنذر من اتبع الذكر) فشاورت في ذلك جماعة من ارباب
القلوب والمشاهدات فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج
من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة
تشهد بان هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدرها الله سبحانه على رأس
هذه المائة وقد وعد الله سبحانه باحياء دينه على رأس كل مائة
فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ويسر الله
تعالى الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع
وتسعين واربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان
وثمانين واربعمائة وبلغت مدة العزلة احدى عشر سنة وهذه
حركة قدرها الله تعالى وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها
انقداح في القلب في هذه العزلة كما لم يكن الخروج من بغداد
والنزوع عن تلك الاحوال مما يخطر امكانه أصلا بالبال والله تعالى
مقلب القلوب والاحوال (وقلب المؤمن بين أصبعين من اصابع
الرحمن) وانا أعلم اني وان رجعت الى نشر العلم فما رجعت فان
الرجوع عود الى ما كان وكنت في ذلك الزمان انشر العلم الذي به
يكسب الجاه وادعو اليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي ونيتي واما
الآن فادعو الى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه

هذا هو الآن نيتي وقصدي وامنيتي يعلم الله ذلك مني وانا ابغي ان اصلح نفسي وغيري ولست ادري أأصل الى مرادي ام اخترم دون غرضي ولكني أومن ايمان يقين ومشاهدة أنه (لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) وأني لم أتحرك لكنه حركني وأني لم أعمل لكنه استعملني فاسأله ان يصلحني أولاثم يصلح بي ويهديني ثم يهدي بي وان يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه ويريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه ونعود الآن الى ماذكرناه من اسباب ضعف الايمان بذكر طريق ارشادهم وانقاذهم من مهالكهم اما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوه من أهل التعليم فعلاجه ماذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم ولا نطول بذكره في هذه الرسالة واما ماتوهمه أهل الاباحة فقد حصرنا شبههم في سبعة أنواع وكشفناها في كتاب كيمياء السعادة واما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة حتى انكر أصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود علم خواص الادوية والنجوم وغيرهما وانما قدمنا هذه المقدمة لاجل ذلك وانما أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لانه من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلم كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة وأما من أثبت النبوة بلسانه وسوى أوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة وانما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص يقتضي طالعه ان يكون متبوعا وليس هذا من النبوة في شيء بل الايمان بالنبوة ان يقر باثبات طور وراء العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة

اقرار رکھو

خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن ادراك الالوان والبصر
عن ادراك الاصوات وجميع الحواس عن ادراك المعقولات فان لم
يجوز هذا فقد اقمنا البرهان على امكانه بل على وجوده فان
جوز هذا فقد اثبت ان ههنا امورا تسمى خواص لا يدور تصرف
العقل حواليها اصلا بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها فان
وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق لفرط
برودته والذي يدعي علم الطبيعة يزعم ان ما يبرد من المركبات انما يبرد
بعنصري الماء والتراب فهما العنصران الباردان ومعلوم ان ارطالا
من الماء والتراب لا يبلغ تبريدهما في الباطن الى هذا الحد فلو
اخبر طبيعي بهذا ولم يجربه لقال هذا محال والدليل على استحالته ان
فيه نارية وهوائية والهوائية والنارية لا تزيده برودة فنقدر الكل
ماء وترابا فلا يوجب هذا الافراط في التبريد فان انضم اليه حاران
فبأن لا يوجب اولى ويقدر هذا برهانا واكثر براهين الفلاسفة
في الطبيعيات والالهيات مبني على هذا الجنس فانهم تصوروا
الامور على قدر ما وجدوه وعقلوه وما لم يألفوه قدروا استحالته ولو لم
تكن الرؤيا الصادقة مألوفة وادعى مدع انه عند ركود الحواس
يعلم الغيب لانكره المتصفون بمثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل
يجوز ان يكون في الدنيا شيء هو مقدار حبة يوضع في بلدة فيأكل
تلك البلدة بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يبقى شيء من البلدة وما فيها
ولا يبقى هو في نفسه لقال هذا محال وهو من جملة الخرافات وهذه
حالة النار وينكرها من لم ير النار اذا سمعها واكثر عجائب الآخرة

هو من هذا القبيل فنقول للطبيعي قد اضطررت الى أن تقول في الافيون خاصية في التبريد ليس على قياس المعقول بالطبيعة فلم لا يجوز أن يكون في الاوضاع الشرعية من الخواص في مداواة القلوب وتصفيتها ما لا يدرك بالحكمة العقلية بل لا يبصر ذلك الا بعين النبوة بل قد اعترفوا بخواص هي أعجب من هذا فيما أوردوه في كتبهم وهي من الخواص العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها الطلق بهذا الشكل (٨) يكتب على خرقتين لم يصبهما الماء وتنظر اليهما الحامل بعينها وتضعهما تحت قدميها فيسرع الولد في الحال الى الخروج وقد أقروا بامكان ذلك وأوردوه في كتاب عجائب الخواص وهو شكل فيه تسعة بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع ما في جدول واحد خمسة عشر قرأته في طول الشكل أو في عرضه أو على التأريب فيا ليت شعري من يصدق بذلك ثم لم يتسع عقله للتصديق بان تقدير صلاة الصبح بركعتين والظهر بأربع والمغرب بثلاث هي لخواص غير معقولة بنظر الحكمة وسببها اختلاف هذه الاوقات وانما تدرك هذه الخواص بنور النبوة والعجب انا لو غيرنا العبارة الى عبارة المنجمين لعقلوا اختلاف هذه الاوقات فنقول أليس يختلف الحكم في الطالع بان تكون الشمس في وسط السماء أو في الطالع أو في الغارب حتى بنوا على هذا في تسييراتهم اختلاف الهيلاج وتفاوت الاعمار والآجال ولا فرق بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السماء ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب فهل لتصديقه سبب الا أن ذلك يسمعه

(٨) تأتي صورته في آخر الكتاب

بعبارة

بعبارة منجم لعله جرب كذبه مائة مرة ولا تزال تعاود تصديقه حتى
لو قال المنجم اذا كانت الشمس في وسط السماء ونظر اليها الكوكب
الفلاني والطالع هو البرج الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك
الوقت قتلت في ذلك الثوب فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما
يقاسي فيه البرد الشديد وربما سمعه من منجم قد عرف كذبه مرات
فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ويضطر الى الاعتراف
بانها خواص معرفتها معجزة لبعض الانبياء كيف ينكر مثل ذلك
فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب
واذا نظر في امكان هذه الخواص في أعداد الركعات ورمي الجمار
وعدد أركان الحج وسائر تعبدات الشرع لم يجد بينها وبين خواص
الادوية والنجوم فرقا أصلا فان قال قد جربت شيأ من النجوم وشيأ
من الطب فوجدت بعضه صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط من
قلبي استبعاده ونفرته وهذا لم أجربه فبم أعلم وجوده وتحققه وان أقررت
بامكانه فأقول انك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار
المجربين وقلدتهم فاسمع أقوال الاولياء فقد جربوا وشاهدوا الحق
في جميع ما ورد به الشرع واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك
على اني اقول وان لم تجربه فيقضي عقلك بوجوب التصديق والاتباع
قطعا فانا لو فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب المرض فمرض وله
والد مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه معرفة الطب منذ عقل فعجن
له والده دواء فقال هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك فماذا
يقتضيه عقله وان كان الدواء مرا كريه المذاق أيتناول أو يكذب

ويقول أنا لا أعقل مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم أجربه
فلا شك أنك تستحمقه إن فعل ذلك وكذلك يستحمقك أهل البصائر
في توقفك فإن قلت فبم أعرف شفقة النبي عليه السلام ومعرفته بهذا
الطب فأقول وبم عرفت شفقة أبيك وليس ذلك أمرا محسوسا
لكن عرفته بقرائن أحواله وشواهد أعماله في مصادره وموارده
علما ضروريا لا تتمارى فيه ومن نظر في أقوال رسول الله عليه
السلام وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق وتلطفه في حق
الناس بأنواع الرفق واللطف إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات
البين وبالجملة إلى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري
بأن شفقته على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده وإذا نظر إلى
عجائب ما ظهر عليه من الأفعال وإلى عجائب الغيب الذي أخبر عنه في
القرآن على لسانه وفي الأخبار إلى ما ذكره في آخر الزمان وظهور ذلك
كما ذكره علم علما ضروريا أنه بلغ الطور الذي وراء العقل وانفتحت
له العين الذي ينكشف منها الغيب الذي لا يدركه إلا الخواص
والأمور التي لا يدركها العقل فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري
بصدق النبي عليه السلام فجرب وتأمل القرآن وطالع الأخبار
تعرف ذلك بالعيان وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة
الحاجة إليه في هذا الزمان وأما السبب الرابع وهو ضعف الإيمان
بسبب سوء سيرة العلماء فتداوى هذا المرض بثلاثة أمور (أحدها) أن
تقول إن العالم الذي تزعم أنه يأكل الحرام معرفته بتحريم ذلك الحرام
كمعرفتك بتحريم الخمر والربا بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة

وأنت

وانت تعرف ذلك وتفعله لا لعدم ايمانك بانه معصية بل لشهوتك
الغالبة عليك فشهوتك كشهوتك وقد غلبته كما غلبتك فعلمه بمسائل
وراء هذا يتميز به عنك لا يناسب زيادة زجره عن هذا المحظور المعين
وكم من مؤمن بالطب لا يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد وان زجره
الطبيب عنه ولا يدل ذلك على انه غير ضار او على ان الايمان بالطب غير
صحيح فهذا محمل هفوة العلماء (الثاني) ان يقال للعامي ينبغي ان تعتقد
ان العالم اتخذ علمه ذخراً لنفسه في الآخرة ويظن ان علمه ينجيه ويكون
شفيعاً له حتى يتساهل معه في اعماله لفضيلة علمه وان جاز ان يكون
زيادة حجة عليه فهو يجوز ان يكون زيادة درجة له وهو ممكن فهو
وان ترك العمل يدلي بالعلم اما انت ايها العامي اذا نظرت اليه وتركت
العمل وانت عن العلم عاطل فتهلك بسوء عملك ولا شفيع لك (الثالث)
وهو الحقيقة ان العالم الحقيقي لا يقارف معصية الا على سبيل الهفوة
ولا يكون مصراً على المعاصي اصلاً اذ العلم الحقيقي ما يعرف ان المعصية
سم مهلك وان الآخرة خير من الدنيا ومن عرف ذلك لا يبيع الخير
بما هو ادنى وهذا العلم لا يحصل بانواع العلوم التي يشتغل بها اكثر
الناس فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم الا جرأة على معصية الله تعالى واما
العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفاً وذلك يحول بينه وبين
المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات وذلك لا يدل
على ضعف الايمان فالمؤمن مفتن تواب وهو بعيد عن الاصرار
والاكباب فهذا ما اردت ان اذكره في ذم الفلسفة والتعليم وآفاتهما
وآفات من انكر عليهما لا بطريقه ونسأل الله العظيم ان يجعلنا من

آثره واجتباه وارشده الى الحق وهداه والهمه ذكره حتى لا ينساه
وعصمه من شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه واستخلصه لنفسه حتى
لا يعبد الا اياه

بحمد رب البرية والصلاة والسلام على المنقذ من الضلال تم طبع كتاب
المنقذ من الضلال تأليف الامام الغزالي حجة الاسلام أفاض
الله عليه من سحائب الرحمة كل سجام بالمطبعة الزاهرة
الاعلامية مصححا بغاية الضبط مقابلا على نسختين
صحيحتين فجاء كاملا تاما على يد أفقر العباد الى
الله عبده مصطفى محمد قشيشه ختم
الله له ولاخوانه بالايمان
بجاه خاتم المرسلين
سيد ولد عدنان
آمين

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

د	ط	ب
ج	ه	ز
ح	ا	و

﴿ فهرست المضنون الكبير للإمام حجة الاسلام الغزالى ﴾

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت فهرست المضنون الكبير بعون الملك القدير ﴾